

غرام التفاوض

حسين قاسم *

تفاوض القيادة الفلسطينية من دون كلل ولا ملل. وإن هي خرجت منها لفترة فإنها تعود إليها بلهفة أكبر. هي كالمسك الذي وإن قفز خارج الماء أحياناً فسرعان ما يعود إليه ليحوض فيه نحو الأعمق. إنه غرامها منذ أكثر من عشرين عاماً.

يتمتعون عن المفاوضات أحياناً، أو بالأحرى يتمنعون فينطبق عليهم قول «يتمنعن وهن راغبات». ولأن الطرف الآخر على دراية بحالتهم النفسية هذه فإنه يزداد تطرفاً ويرفع سقف مطالبه. ولم لا، فعودة الشريك إلى بيت الطاعة مضمونة. عندما يجري الاعتراض على النهج التفاوضي يرد أصحابه بسؤال استنكاري: ما البديل؟ ويشرحون: إننا في وضع صعب وليس لدينا بديل عن المفاوضات. ومن مبرراتهم أن إدارة شؤون السلطة وبقاها يرتبطان، حكماً، باستمرار المفاوضات.

في الواقع هذا صحيح، إذ إن السلطة تعيش بقلب اصطناعي، نصفه بيد إسرائيل والنصف الآخر بيد الغرب، والأخير بمثابة رب عملها لأنه يدفع رواتب كل موظفي هذه السلطة. لكن من المسؤول عن ذلك؟ اليس أنتم من ولجتم النفق المظلم حتى من دون توفير «الإضاءة» الضرورية والمستلزمات الأخرى للخروج منه. دخلتم النفق الحالي من أوسلو، وكانت هناك قبل ذلك أنفاق أخرى نعرف بعضها ونجهل بعضها الآخر. إلا أن الحديث في هذا الأمر ما عاد بتلك الأهمية كما في السابق، ولم يعد لتكرار الانتقادات والتهامات أية فائدة. لقد حصل ما حصل. والموضوعية تفرض علينا التحلي بالصمت، لا قبولاً بما تفرضونه علينا، بل لأن صوتنا لن يكون مجدداً ما دامت القوى المعارضة لكم منقسمة إلى قسمين واحد مدجن يعتاش على فتاتكم، والآخر سلطوي مثلكم. أما البديل، الذي كان يمكن أن يمثل خشبة الخلاص، فإنه ما زال في علم الغيب.

ما يهمننا اليوم هو أن تقولوا الحقيقة، كل الحقيقة لا نصفها. وفي هذا الصدد، لا يسعنا إلا أن نسجل لعباس أنه قال الحقيقة في خيار المفاوضات الاستراتيجي، وأعلن طلاقه بالثلاث من الكفاح المسلح وتبته في المحكمة الشرعية لمزيد من التأكيد. للقيادة الفلسطينية صداقية في التنازلات لكنها ليست كذلك بالنسبة إلى التمسك «بالثوابت الوطنية» التي ترددها ليل نهار. المشكلة مع القيادة الفلسطينية أنها تفصح عن نواياها فقط بعد أن تكسرها وأقعاً في حياة الشعب الفلسطيني. هذا ما حصل في أوسلو، وقبله، وفي معظم الاتفاقيات والمشاريع التي أقرتها القيادة.

فاوضوا، فاوضوا ثم فاوضوا. تنازلوا، تنازلوا ثم تنازلوا. أصبحت خالي الوفاض، سيسجل التاريخ لكم أطول مفاوضات في العالم وستدخلون موسوعة جينيس مرفوعي الرأس مزهوين بالرقم القياسي غير القابل للكسر. مفاوضاتكم فريدة من نوعها، إذ لم نشهد في التاريخ مفاوضات بين أعداء تخلق صداقات وروابط حميمة بين المتفاوضين. معانقات حارة وابتسامات من القلب، ليس لها مثل بين فريقين متحاربين متناحرين متناقضين كما هي الحال بين الإسرائيليين والفلسطينيين. هذا ما تدل عليه المشاهد التي تبثها المحطات التلفزيونية عن اللقاءات.

في أول لقاء بين رابين وعرفات أثناء توقيع اتفاق غزة أريحا، أولاً في حديقة البيت الأبيض شهدنا الأخير يمد يده مبتسماً فرحاً لمصافحة رابين الذي قابله بوجه عباس وتمنح لثوانٍ عن مد يده. وبعد أن اطمأن الطرف الإسرائيلي للمفاوض الفلسطيني صار يبادلها الابتسامات والجمامات فكان مشهد الجمالة المفرطة بين عرفات وباراك في كامب ديفيد، كل منهما يدعو الآخر للدخول أولاً. وكزت السبحة، واحدة



منها كانت المصافحة بين عريقات وليفني على طريقة الشباب المراهقين المتلهفين للقاء الجديد مع بداية مفاوضات التسعة أشهر. قد يكون من الصدف (أو عن سابق تصور) تحديد مدة المفاوضات بتسعة أشهر. إنها مدة الحمل الطبيعية ليخرج المولود. سنعد الأيام يوماً بيوم على أمل أن يكون المولود صحيحاً معافي قابلاً للحياة، رغم يقيننا من أنه ثمرة زواج غير شرعي. سنستقبل مولود الأمر الواقع لأننا ضغنا ذرعاً بمسلسل المفاوضات، أكثر مما ضقمتم ذرعاً بالنضال الحقيقي. سنستقبله بصمت ومن دون أي احتفالات، والأرجح أن ترسم علامات الغضب على وجوهنا ولكننا سنكظم الغيظ. أرايتم كم نحن واقعيون ولا نريد أن ننغص عليكم متعة ممارسة هواية المفاوضات؟

في المقابل نطلب منكم تعهداً واضحاً وصريحاً يلتزم بما تدعون أنه هدفكم من المفاوضات. تعهد بالآ توفعوا على اتفاق يتضمن تنازلاً عن شبر من الأراضي المحتلة عام 67، أو يمثل إجهاضاً لحق عودة اللاجئين إلى ديارهم (لاحظوا الواقعية. لم نقل تحقيق حق العودة)، أن تكون الدولة الفلسطينية المنفق عليها سيدة وحررة بحسب المفهوم الذي تقره القوانين الدولية لسيادة الدول في جميع المجالات.

نعرف أنكم أدمتم المفاوضات، ونعرف أن شفاءكم منها بعيد المنال. إذاً، فاوضوا كما شئتم لكن ارحمونا لمرة واحدة وتحلوا بصورة المفاوضات الحقيقي، وكونوا نداً فعلياً يحسب العدو لكم الحساب وتجعلون بيريز يندم على شعوره بأنه يفاوض نفسه، فيخاف الصهيوني من غضبكم ومن جراتكم ومن نواياكم الحقيقية في ابتداء أساليب نضالية جديدة، إذا لم يجز التجاوب مع مطالبكم. أما إذا انقضت مدة التفاوض واكتشفت أن الحمل كان كاذباً ولم يولد الاتفاق المنشود، نقترح عليكم أن تعلنوا فشل نهج المفاوضات وفشل السلطة الذاتية، وتبئناً بالعيساوي، أن تعلنوا صوماً متواصلاً إلى أن تتحقق مطالبكم في الدولة المستقلة على حدود الرابع من حزيران 1967 وعاصمتها القدس. حولوا ساحة المقاطعة في رام الله إلى خيمة كبيرة يعتصم فيها كل موظفي السلطة، بدءاً من الرئيس إلى أصغر عامل فيها (لاحظوا واقعيتمنا، لم نطلب منكم لا حمل السلاح ولا حتى الحجارة). ونعاهدكم نحن أبناء الشعب الفلسطيني في كل مكان، أننا سنقيم خيمنا الاعتصامية حيثما وجدنا ونصوم معكم، ولتكن معركة الأمعاء الخاوية معركة كل الشعب ولنضع المجتمع الدولي الذي تؤمنون به على المحك وأمام مسؤولية الإبادة الجماعية لشعب بأكمله. وإذا رأيتم أنكم غير قادرين على هذه المهمة فإن هذا يعني أنكم بلغت سن التقاعد. بيوتمكم واسعة وفيها كل وسائل الراحة لتقضوا بقية العمر مع عائلاتكم.

* كاتب وباحث فلسطيني

ورد كاسوحة *

الوضع في أوكرانيا وروسيا يزداد تعقيداً، ويذهب بأضطراب نحو التصعيد. هذا ما تظهره الوقائع، وهي في حالة شبه جزيرة القرم كثيرة جداً، وتكاد تجب أي تحليل منطقي للمسألة. لم يعد الصراع هنا متعلقاً بموقع أوكرانيا الجيوسياسي، أو بأهميتها بالنسبة إلى الغرب وروسيا، بل أضحي صراعاً على ماهية الدولة نفسها، وما إذا كانت لا تزال دولة فعلاً.

■ ■ ■

في العادة تكون وظيفة الدولة وأجهزتها هي الجباية من المواطنين لقاء تقديم خدمات عامة وأساسية لهم، وللحفاظ على هذه الوظيفة أنشئت الأجهزة التي تحتكر العنف، وتحظر على الناس ممارسته بنفسها. يدخل مفهوم السيادة أيضاً في هذا النطاق ويصبح مع الوقت غطاءً تتذرع به الدولة لنبسط سيطرتها على المجال العام. ولهذا يقال عن الأجهزة الأمنية أو الشرطة والجيش بأنها جهات سيادية (يستخدم هذا التعبير في مصر كثيراً). على النقيض من هذا التعريف تقريباً يقف مفهوم الاحتجاج، أو هكذا يبدو لنا، فهو منذ البداية يصطدم بالأجهزة السيادية المنوط بها حماية عملية الجباية، ولاصطدامه هذا مبرزات لها علاقة بتعطيل العملية من أساسها. في الاقتصاد السياسي يسمى ذلك التعتيل بالنهب، وتلقى المسؤولية عنه مباشرة على الدولة، فهي التي

هن يصدق، أن أميرة الغاز يوليا تيموشنكو تريد توزيعاً فعلياً للثروة داخل أوكرانيا؟

تجبي الأموال وتوزعها لاحقاً على الطبقات الاجتماعية، ومن غير المعقول أو الممكن أن يتحمل أحد سواها المسؤولية حين تتعطل العجلة، ويتوقف ضخ الأموال إلى الناس. علماء الاجتماع خارج الحقل الماركسي لا يشاطروننا رأينا في الشق الاقتصادي من الأمر، ويذهبون إلى القول بأنها أبعد من عملية توزيع للثروة أو نهب لها، فهي تعبر من وجهة نظرهم عن عقد اجتماعي بين طرفين، وهذا العقد لا يتوقف على ما تفعله الدولة وحدها. بالطبع ليس مستغرباً من الليبراليين (وليس فقط النيوليبراليين) تحميل الطرف المنهوب من الدولة دائماً عبء الفوضى التي تحل بالمجتمع حال الإخلال بالعقد ذاك. فالرأسمالية هي الصنو الفعلي لعنف الدولة، وهي التي تبرز دائماً تدخلها - أي الدولة - للجباية من الناس ونهبهم بالإكراه.

محمد العبد الله *

ما كاد البيت الأبيض ينتهي من أجواء زيارة نتنهاو قبل أسبوعين، حتى فتحت أبوابه من جديد لاستقبال رئيس السلطة محمود عباس في خطوة جديدة، أرادت بها الإدارة الأميركية، بقمة هرمها، التدخل في إنعاش المسار الذي رسمه وزير الخارجية جون كيري منذ أكثر من سبعة أشهر، لحركة سياسية نشطة بين الطرفين: حكومة المستعمرين الصهاينة بقيادة سلطة رام الله المحتلة، في مفاوضات ماراتونية، من أجل الوصول لصيغة عملية، لحل «الأزمة المستعصية»، كما عبر عنها أكثر من مسؤول وناطق أميركي، من خلال موافقة الطرفين على «اتفاقية الإطار».

لم تكن الأجواء التي نتجت من زيارة نتنهاو لواشنطن ولقائه بالرئيس الأميركي، توحى بأن حكومة العدو لديها أي تفكير بالتراجع عن الشروط الصعبة التي تفرضها على وفد السلطة المفاوض، والمتتبع لكل أحداث نتنهاو خلال شهر آذار الحالي، يلاحظ تصعيده المنهج ورفع سقف مطالبه، وهذا ماتضمنه خطابه في المؤتمر السنوي في الأسبوع الأول من هذا

وحين يعترض هؤلاء على نهبهم لا يفعلون ذلك ضد الدولة وأجهزتها فحسب، بل أيضاً ضد الرأسماليات والإمبرياليات الدولية التي تبجح هذا النسق من العنف وتبرز استعماله في مواجهة الاحتجاجات. بهذا المعنى تتأكد الحاجة إلى «نقض وظائف الدولة»، ويصبح أي احتجاج يندلع في العالم مشروعاً ومبرزاً في ذاته، فهو يكتسب معناه بمجرد أن يقع ولا يحتاج بالنمالي إلى أي محددات من خارج منطقة. السياق فقط هو من يضع المحددات لاحقاً، وفي وضعنا الحالي يتعين السياق بمواجهة السلطة - الدولة التي تنهب الثروات وتحرم مواطنيها من حقهم في الوصول إلى الخدمات العامة التي «كفلتها» لهم الدساتير الليبرالية. قد لا تكون حقوقهم الاقتصادية بالضرورة، ولكن مصادرتها على هذا النحو العنيف تحصل بغرض منعهم من الاحتجاج الذي تخشى منه السلطة على امتيازاتها، وخصوصاً إذا ما تطور وأخذ أشكلاً أكثر جذرية. وما يحصل الآن بفعل الانسداد الذي وفرته الدولة الليبرالية الفاسدة والنهابة هو اقتران هذه الجذرية بالعنف، وبالتالي اصطدام الاحتجاج مباشرة بالدولة، وإحداثه بفعل الاستمرارية والتصميم اللذين يبديهما المحتجون شروخاً وتصدعات داخل أجهزتها المسماة بالسيادية. وهذا ليس جديداً على «الثورات» عموماً، ولكن وتيرته تتزايد حالياً، وتدفع باتجاهات من المحتمل أن تشمل الدولة نهائياً وتقعدها عن العمل. لا يطاول ذلك إذا حصل أجهزتها ومؤسساتها فحسب، وإنما بطاولها أيضاً كمفهوم وكتعريف للسيادة وتنظيم العملية الاجتماعية. ومن تجاربنا في المنطقة نعلم أن هذا «قد وقع بالفعل»، خصوصاً في مصر التي صدعت الاحتجاجات المتوالية (والأهم من تواليها هو عنفها الشديد والموضعي) أجهزة الدولة فيها، وأجبرتها مرات عديدة على التراجع والإذعان لمطالب الناس. لننذكر أن في كل مرة من هذه المرات كانت المطالبات بهيكل الأجهزة تلك تتزايد، فبالنسبة إلى الثوريين تعتبر الدولة وليس فقط السلطة، مسؤولة عن عمليات القتل التي تواجه بها الاحتجاجات، ويتعين عليها بالتالي أن تضع حداً لتغول أجهزتها الأمنية والعسكرية قبل أن تزداد الشروخ داخلها، وينتقل الانقسام إلى داخل بنيتها الصلبة (ما يسمى هناك بالدولة العميقة، أي تحالف الجيش والبيروقراطية الحكومية).

■ ■ ■

في أوكرانيا أيضاً ثمة أجهزة تتصدع، وثمة انقسامات لم يعد ينفع إخفاؤها، فالغضب الذي أبداه الناس في الشوارع ارتطم بكل ما توطأت الدولة بشقيها («الشبوعي» والرأسمالي) على إخفائه طيلة الأعوام الماضية. تقريباً أصبح كل جهاز حكومي أو إداري أو أممي هناك محل انقسام، وخصوصاً في الأماكن التي تتصاعد

عباس في البيت الأبيض

الشهر، أمام المنظمة اليهودية - الأميركية - الصهيونية «إيباك» الأبرز حضوراً، والأكثر فاعلية وتأثيراً في صانع القرار، والرأي العام الأميركي، وفي تصريحاته المتتالية لوسائل الإعلام، التي يحدد من خلالها الإطار الذي وضعه لحركته السياسية ولشروطه داخل مسار المفاوضات: الموافقة على يهودية الدولة، التنازل عن حق العودة، القدس الموحدة عاصمة للكيان، الاحتفاظ بقتل المستعمرات الكبيرة، والوجود العسكري في منطقة الأغوار. مع الذهاب خلال فترة زمنية طويلة لبحث القضايا الأخرى.

ثوابت عن ثوابت... «بتفريق»

ما بين جدران المقاطعة في رام الله المحتلة، ومن على منصة أكثر من مؤتمر، أطلق رئيس السلطة مواقف عدة، رسمت مسار لقاءاته المقبلة في واشنطن. في مساء السادس من آذار/ مارس، تحدث عباس أمام الشبيبة الفتاوية في الجامعات الفلسطينية، مؤكداً تمسك السلطة بـ «الثوابت»، مصرراً على عدم تقديمها (السلطة) «أية تنازلات منذ إعلان الاستقلال عام 1988». وشدد على أن السلطة لا تزال تطالب بالانسحاب الإسرائيلي من جميع الأراضي

الزخار

تأسست عام 1953
تصدرت شركة «خبار بيروت»

رئيس التحرير المؤسس
جوزف ساحة
(2006-2007)

رئيس التحرير المحرر المسؤول
إبراهيم الأمين

■ نائب رئيس التحرير: بيار ابي صعب ■ محري التحرير: إيلي شلهوب، وفيف، قاصوه ■ إقتصاد: محمد زبيب ■ محليات: حسنة عليف ■ مجتمع: مهدي زرافط ■ ثقافة: وائل، امل الاندري

■ رئيس مجلس الإدارة: إبراهيم الأمين ■ الدارة المالية: فادي خليل ■ الموارد البشرية: رما اسماييل

■ المكاتب: بيروت - فردان - شام جونان - سنتر كونكورد - الطابق السادس ■ تلفاكس: 01759500 01759597 ■ ص.ب 5963/113

www.al-akhbar.com

■ الامتانات الوكيل الحصري: شركة بروموفيكس 01/788200

■ التوزيع: شركة الواك 15_01/666314-03/828381